جامعة تكريت **المحاضرة الثانية**
كلية التربية الأساسية/ الشرقاط
قسم اللغة الانكليزية/ المرحلة الرابعة
مادة الفلسفة

علاقة اللغة بالفلسفة

إن اللغة هي وسيلتنا لإدراك العالم، وواسطتنا التي تحدد المسافة بيننا وبين واقعنا، وهي أداة تعاملنا مع هذا الواقع، التي نحيل بها المحسوس إلى المجرد، ونجسد بها المجرد في هيئة المحسوس، إنها الجسر الواصل بين خصوصية الذات وعمومية الموضوع، وهي التي نترجم بها ما في ضمائرنا من معان، واللغة هي الذات وهي الهوية، وثقافة كل أمة كامنة في لغتها، واللغة بلا منازع أبرز السمات الثقافية. ولهذا فاللغة تحتل موقعاً بارزاً على خارطة المعرفة الإنسانية، وتزداد أهميتها يوماً بعد يوم، حيث ترتبط بعلاقات وثيقة مع الفلسفة والعلوم الإنسانية والطبيعية، إذ لا فكر بدون لغة، فاللغة هي وسيلة الإفصاح والتعبير عن الفكر، فضلاً عن مرحلة تصنيفه وتحديد مقولاته داخل الذهن، كذلك فإن جميع العمليات الفكرية مهما بلغت درجة تعقيدها لا يمكن أن تتم إلا بواسطة اللغة. والمنطق لفظ مشتق من النطق والكلام وإذا ما اعتبرنا أن الفلسفة والمنطق يمثلان أعلى مستويات الفكر، فإن وسيلتنا المثلى لممارسة هذا الفكر هي اللغة.

لقد نشأة الفلسفة في رفقة حميمة مع اللغة دامت ونمت عبر العصور، منذ محاورات سقراط، ومنطق أرسطو وانتهاء ببنيوية شتراوس وتفكيكية جاك دريدا، وحتى ما بعد الحداثة، وخلال هذه الرفقة الطويلة نضجت العلاقة من مستوى التبادل المعرفي المتمثل في ثنائية اللغة كأداة للفلسفة، والفلسفة كأداة للغة، إلى أن وصلت إلى شبه الانصهار الكامل. كان من الطبيعي أن تركن الفلسفة إلى اللغة كبديل وحيد أمامها للتعبير عن مقولاتها، لقد وجدت الفلسفة في اللغة أداتها المثلى. وذلك لكون اللغة وسيطاً بين الذاتية والموضوعية ومن المعروف فإن ثنائية (الذات – الموضوع) تعد إحدى إشكاليات الفكر الفلسفي الرئيسية. وفي المقابل كان لجوء اللغة إلى الفلسفة بدافع حاجتها إلى نهج معرفي ترقى من خلاله إلى مصاف العلوم الدقيقة فوجد "دي سوسير" مؤسس علم اللغة الحديث في فلسفة "بيرس "الرمزية مدخله لصياغة العلاقة اللغوية المحورية التي تربط الرمز اللغوي ومدلوله، ومن بعده (نعوم تشومسكي) صاحب أكبر مدرسة في التنظير اللغوي المعاصر ليتخذ من فلسفة (كانت) أساساً لتنظيره اللغوي.

ولقد حاولت الفلسفة غير مرة أن تفك من قبضة اللغة وذلك من خلال توثيق علاقتها بالرياضيات على أيدي فلاسفة من أمثال "ديكارت" و "ليبنتز" عن طريق المنطق الرمزي وقد سعت الفلسفة من وراء ذلك أن تصنع لنفسها لغة مجردة خاصة بها لغة تخلو من لبس اللغات الطبيعية وغموضها، وقد أسرف الفلاسفة في تجريدهم الرمزي حتى وصل الأمر أن أحالوا الجماليات إلى رياضيات وجعلوا للأخلاقيات ضرباً من الحساب، ولم تكن لهذه النزعة الفلسفية ذات الطابع (اللالغوي) أن تستمر، فقد جاء "فيتجنشتاين" و"هوسرل" ليعيدا إلى اللغة مجدها التليد، وذلك بأن جعلا من ثنائية (الذات– الموضوع) ثلاثية محورها وسيط اللغة، هذا الوسيط المعرفي الذي لا يمكن تجاهل دوره في إقامة الصلة بين حقائق الواقع والذات التي تستوعبها أو تعبر عنها. وهكذا انتقل مركز الثقل الفلسفي من المعرفة إلى اللغة

لقد كانت اللغة منذ القدم شاغل الفلاسفة على اختلاف مذاهبهم، ومعظم الفلاسفة قدامى ومحدثين بلاغيون في المقام الأول، وما من إشكالية من إشكاليات الفلسفة إلا ولها مقابل أو شق لغوي؛ لذا كانت طبيعة العلاقة بين اللغة من جهة والمنطق والفلسفة من جهة أخرى مثار اهتمام وجدل المفكرين والفلاسفة منذ القدم، على الرغم من أن فلسفة اللغة بكونها من فروع الفلسفة يعد مبحثاً جديداً، حيث لم تعرف عند القدامى مبحثاً مستقلاً كما عرف لاحقاً، وإذا كان مفكرو اليونان الأوائل قد بحثوا هذه المسألة وأشهرهم "أرسطو" مؤسس علم المنطق الذي نجد عنده علاقة اللغة بالمنطق تبدو واضحة، وقوانين المنطق عنده مقدمة لكل العلوم. وهو عنده آلة العلم، وقوانينه الأساسية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في التفكير. وبعد أن ترجمت كتب الفلسفة والمنطق اليونانية إلى العربية أثيرت مشكلة العلاقة بين اللغة والمنطق في الفكر الإسلامي بين مؤيد ومعارض، والجدير بالذكر أن النحو العربي قد تكون في الحقبة نفسها التي وفد فيها المنطق اليوناني إلى العالم الإسلامي وقد كان اتصال المسلمين بالفكر اليوناني مبكراً أي منذ عهد بني أمية، وبصورة أكثر إبان العصر العباسي متمثل في بيت الحكمة الذي أنشأه الخليفة المأمون. ويكاد يجمع الباحثون على أن أول ما عرف المسلمون من تراث اليونان الفلسفي هو المنطق وأن أقدم تراجم الكتب اليونانية ترجمة كتب أرسطو طاليس المنطقية، وقد قام بهذه الترجمات شخصيات سريانية كان لها دور عظيم في نقل التراث اليوناني إلى العربية أشهرهم "حنين بن اسحاق" ت 264 هـ - 877 م، و"أبو بشر متى بنيونس" ت 338 هـ - 939 م وكذلك "يحي بن عدي" ت 364 هـ - 975 م.

وقد ترجم المنطق الأرسطي تراجم عدة ونقل إلى العالم الإسلامي لقد نقلت علوم اليونان خاصة المنطق والفلسفة إلى العربية وكانت العربية من المرونة والتطور ما استطاعت به أن تستوعب كل جديد، خاصة مع تلك المرحلة التي ترجم فيها أكثر تراث الأمم المجاورة، ولولا أنها كانت لغة مطواعة لما استجابت لمتطلبات تلك المرحلة وخاصة فيما دخل إليها من مفردات جديدة، فقد تسربت إليها من اليونانية والفارسية كلمات في المنطق والفلسفة لم تكن موجودة قبل حركة الترجمة، كما ظهرت بفضل الاشتقاق كلمات متعددة قادرة على أن تحمل معاني شتى.

وقد شهدت نشأة الفلسفة الإسلامية لقاء مثيراً وثريا بين اللغة متمثلة في علم الكلام وفلسفة الإغريق التي أحسن الفكر الإسلامي استقبالها، وقد سعى السلف إلى توثيق علاقة العربية بالمنطق كركيزة أساسية في توثيق علاقة اللغة بالمعرفة ولم يحدهم في مسعاهم هذا إلا قصور نسق المنطق المتاح لهم آنذاك.

والجدير بالملاحظة أن المفكرين المسلمين رغم تأثرهم بالفكر اليوناني إلا أنهم لم يكونوا فقط مقلدين ومرددين لهذا الفكر الوافد، وإنما كانت لهم إسهامات وإضافات ومواقف مهمة وأصيلة في هذا المجال. وإذا عرفنا أن المنطق الأرسطي أول ما ترجم من علوم اليونان إلى العالم الإسلامي ووصل بجانبه وممتزجاً به أحياناً أبحاث أخرى غير أرسطية أضافها الشراح من بعده من مصادر متعددة، فمن المعروف عن حركة النقل التي تمت في تلك الفترة أن التراث الفلسفي اليوناني المنقول لا يمثل غالباً الفلسفة اليونانية في أصلها المباشر ولا في صفائها اليوناني كما كتبها مؤلفوها الأصليون في القرن الرابع ق.م. بل كانت الفلسفة التي ترجمت إلى العربية هي الفلسفة اليونانية كما نقلها أو شرحها فلاسفة الإسكندرية أو الأفلاطونيون المحدثون. حيث تم تعديل الكثير من الآراء لتتوافق مع العقيدة المسيحية، وهذا ما نقله النصارى السريان إلى المسلمين العرب مباشرة من اليونانية أو غير مباشرة بواسطة اللغة السريانية.